# شيعةُ العراقِ اليوم
# مشروعُهم الحياتي
# ما بينَ ضروراتٍ ثلاث:

# الزمن

# الأرض

# المُعتَقد

عبدُ الحليم الغِزّي

# شيعةُ العراقِ اليوم

# مشروعُهم الحياتي

# ما بينَ ضروراتٍ ثلاث :

## الزمن

## الأرض

## المُعتَقَد

عبدُ الحليم الغِــزّي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# يا زهـــراء

اللهمَّ كُنْ لوليِّكَ الحجّة بـــن الحســـن صلواتُك عليه وعلى آبائــه في هــذه الساعة وفي كُلِّ ساعة وُليّــاً وحافظــاً وقائداً وناصراً ودلــيلاً وعينــاً حتّــى تُسْكِنَهُ أرضَكَ طَوْعــاً وتُمتِّعَــهُ فيهــا طويــلا.

الى كُلِّ قلبٍ في أرضِ السواد ينبضُ بِهَمِّ آلِ محمدٍ صلوات الله عليهم أجمعين !

فلقد قالها صادقُ العترة عليه وعليها أفضـــل الصلاة والسلام : ( **نَفَسُ المهمومِ لظُلمنـــا تسبيح ، وهَـــمُّهُ لنا عبادة** )[1] !!!

راجياً دُعاءَكم

**الغِـــزّي**

**1429هـ**

---

11) عن أمالي الشيخ المفيد (ره) ص 200، وأمالي الشيخ الطوسي (ره) ص 72، وقد قال الامام الصادق عليه السلام في آخر هذا الحديث: (يجبُ ان يُكتبَ هذا الحديثُ بالذهب).

**البدايـــة :**

الحديثُ عن مشروع مُفترضٍ لشيعةِ العـــراق في هذا المقطع الزماني الحسّاس محكومٌ بثلاثة أمور :

**أوّلُها** – أنّه مشروعُ أُمةٍ وليسَ مشروعاً لفردٍ أو مجموعة أفراد, وفارقٌ كبيرٌ جـــداً بـــين المشاريع الفردية ومشاريع الأمـــم اِذْ لِكُـــلِّ صنف خصائصـــه وشـــرائطه الموضـــوعية ومدياته الزمانية وطبيعة علائقه وآلياته وسعة أهدافه وضيقها, وما يُصاحِبُ ذلـــك مـــن

مرونةٍ في العمل وتحدياتٍ وموانعَ تعتـــرضُ الطريق .

**وثانيها** – أنّه مشروعٌ حياتيٌّ مـــن الطـــراز الأوّل وهو بذاك يختَلفُ كثيراً عن المشـــاريع غير الحياتية مهما كانت أهميّتُها إذْ بين الاثنين بونٌ شاسعٌ في جميع الإتجاهات, فالمشـــروع الحياتي ضرورةٌ مُلزِمةٌ يُمليها الواقع وحاجـــةٌ مُلحّة تفرضُـــها شـــؤون الحيـــاةِ اليوميـــة ومُلابساتُها بدرجةٍ لا يمكنُ الاستغناءَ عنـــها ولمديات بعيدة وطويلة الأمد .

هذا إذا أردنا تطويرَ الواقع وتحسينه والنهوضَ

به الى الأمام كي نُمسِك بعـــروةِ ضـــمانة الحاضر والمستقبل لجيلنا هذا والأجيال الآتية، بينما تتّسم المشاريعُ غيرُ الحياتية أنها في حـــدِّ الكماليات لا في حدِّ الضرورات فضلاً عـــن أنها محدودة الأهداف محصورة المدى .

**وثالثُها** – أنّ الفرصةَ السانحةَ لشيعة العـــراق في الظرف الراهن لم يسنحْ لهم مثيلُها عـــبر تاريخهم الطويل أو على الأقل خلال القرنين الماضيين, وهما أكثر قرون التأريخ البشـــري تبدّلاً وتقلُّباً حيث تغيّر وجه الحياة على الكرة الأرضية كليّاً وفي جميع مناحيها ونواحيها .

( **1** )

عانى شيعةُ العراق من القمــع والتعــذيب والتنكيل والظلم الفاحش الأمــرّين إبــّان الحكم العثماني الجائر وما تلته من حكومات كان آخرها النظام الصدّامي البعثي المجــرم, ولم تسنح لهم الفرصة المناســبة للنــهوض بأوضاعهم المتردية، وانها اذ تسنح اليوم لهــم فعليهم اغتنامها وانتهازها فإنّ الفرصَ كمــا يقول سيد الأوصياء عليه أفضــل الصــلاة والسلام : ( **تمرُّ مرَّ السحاب** ) ولن تعــوَد

ثانيةً، ولات حين مندم .

وإنّي حين أتحدّثُ عن مشروعٍ حياتيٍّ لشيعة العراق فلا أتحدثُ عن مشروع سياســـي أو شكلٍ معينٍ لنظام الحكم، وانما أتحدث عـــن البُنية الاجتماعية والثقافية والعقائدية مدعومةً بالبُنية الإقتصادية الأهلية لا الحكومية, فـــإنّ العمل بهذا الاتجاه هو الذي يحفـــظ الكيـــان الشيعي ويحميه من التقلّبـــات السياسية التي لا يمكن التحكّم فيها في جميع الأحوال .

لا شكّ ان المشـــاركة الشـــيعية في النظـــام السياسي أمرٌ ضروري لا يمكن التنازل عنـــه

إلاّ أنّ هذا ليسَ مأخوذاً بنظـــر الاعتبـــار في
أولويات هذا المشروع المفترض؛ إذ أنّ شيعة
العراق بحاجةٍ اليوم الى رصِّ صفوفهم وجمع
كلمتهم وتوحيد طاقاتهم وخبراتهم وظفـــر
امكاناتهم المادية والمعنويـــة لاجـــل انشـــاء
مؤسساتٍ أهليةٍ متنوعة لنظم أمور شيعة أهل
البيت عليهم السلام في شتى مجالات الحيـــاة
المختلفة ابتداءاً من مؤسســـات الدراســـات
والبحوث الستراتيجية وانتهاءاً بمؤسســـات
العمل الخيري والطوعي .
وكل ذلك إنما يجري ضمن ســـلطة الدولـــة

العراقية واتباع دستورها وقوانينها، سـواء تم إقرار الدولة ذات الحكومة الواحدة المركزية أو الدولة ذات الأقاليم المتعددة، فعلى شيعة العراق الخروج من دور المعارضة التقليـدي علّهم يفلحون في بناء كيانهم بشكلٍ علمـيٍّ يتناسب والظروف الراهنة, وما ستجلبه الأيام القادمة من تحدياتٍ هائلةٍ وضخمةٍ في جميـع الاتجاهات .

( **2** )

شيعة العراق أمة حقيقية بكل ما لكلمةِ الأمة من معنى اذ يمتلكون جميع المقوّمات الأساسية التي تقوم عليها الأمم المتكاملة والناجحة فهم يمتلكون :

**أولاً** – التأريخَ العريقَ بكلِّ ما فيهِ من عمق التجربة الإنسانية وعلى جميع مســـتوياتها إنْ كان من جهة فاعليتهم وتأثيرهم في الاحداث المهمة التي مرّت في تاريخ العراق والمنطقـــة المجاورة له, أو من جهة تفاعلهم مع مجريات

مسيرة الأحداث في القرون الماضية والأجيال السالفة، وذلك ما يشكّلُ بطبيعـــةِ الحـــال القاعدةَ التي تستندُ إليها أيّ امة في بناء كيانها ووجودها وقوة اسس بقائها؛ إذ أنّ ماضـــي أيّ امة يمثّلُ قاعدة البوصلة التي تحدّدُ اتجاهات مسارات حاضرها ومستقبلها .

**ثانياً** – الطاقـــات البشـــرية الـــوافرة مـــع الإمكانات المادية الغزيرة والتي تُمكِّنُ أيَّ امةٍ من بناء حاضرٍ قويمٍ متينٍ تتحقّقُ فيه حركتُها الحياتية بنجاحٍ نحو المستقبل الواعد . وعلـــى سبيل المثال لا على سبيل الحصـــر العلمـــي

الدقيق أعرض عناوين إجمالية لما يملكه شيعةُ العراق في هذين الأمرين :

1 - كثرةُ عدد نفوسهم مع الأخـــذ بنظـــر الاعتبار أنّ الفئة العُمرية الاكثر هـــي فئـــةُ الأطفال والشباب .

2 - إتساعُ مساحة الأرض التي يقطنونها .

3 - وفرةُ المياه والأراضي الزراعية الخصبة في مناطقهم .

4 - كثرةُ وأهميةُ مراكز الســياحة الدينيـــة والأثرية التاريخية حيث يقطنون .

5 - وجود العاصمة الدينية لكل الشيعة في

انحاء العالم المختلفة في النجف الاشرف حيث مركز الزعامة الدينية والمرجعية الشيعية, وحيث الحوزة العلمية التي تمثّل الجامعة العلمية الدينية التاريخية العريقة الأهم لكل الشيعة في العالم .

6 - ضخامة الثروات النفطية والمعدنية في أراضيهم .

7 - الاعداد الهائلة من الأكاديميين والخريّجين رجالاً ونساءاً .

8 - الاعداد الوفيرة من الكتّاب والمثقّفين والأدباء والشعراء والمبدعين والفنانين

والرياضيين رجالاً ونساءاً .

9 - الاعداد الكثيرة مـــن ذوي الخـــبرات المختلفة من عمّالَ فنيين ومزارعين وحرفيين .

10 - الإمكانات المالية الضخمة في المؤسسة الدينية الشيعية بكلّ فروعها إن كان ذلـــك بالفعل أو بالقّوة, وكذلك ما يمتلكه اصحاب رؤوس الأموال في طبقةٍ واسعة من تجار شيعة العراق .

ويمكنُ إضافةُ أمرين الى ذلك :

أ - الكفاءات العراقية الشـــيعية الموجـــودة خارج العراق وهي طبقة واســـعة عريضـــة

مشبعة بخبرات عالية وتجارب مفيـــدة جـــداً مُستقاة من البلدان المتقدّمة التي يعيشون فيها.

**ب** – إمكانية الاســـتفادة مـــن الطاقـــات والخبرات الشيعية في البلدان الاخرى كدول الخليج مثلاً .

**ثالثاً** – الفكرُ والإبداعُ وهُما جوازُ كُلِّ أمة الى مستقبلٍ آمنٍ ورغيد, ولشيعة العراق حظٌّ وفيرٌ منهما إن كان ذلك في سالف الأزمان أو في حاضرها، وبتوافُرِ هذه المقومات :

1- التأريخُ العريق .

2- الطاقات البشرية الوافرة مع الامكانات

المادية الغزيرة .

3- الفكر والابداع .

يتمكّنُ شيعةُ العراق من ضبط حركتـــهم في الاتجاه الصحيح الموائم لشـــروط المرحلـــة التاريخية الحاضرة والمنسجم مـــع الظـــروف الموضوعية الراهنة مع ملاحظة ان لا يكـــون ذلك متصادماً مع مصالح بقية أبناء العراق من السنة والاكراد والتركمان وغيرهـــم، بـــل يتوجّبُ على شيعة العراق ان يكسبوا ثقـــة أبناء وطنهم جميعاً, وذلك بـــدفاعهم عـــن حقوقهم ومصالحهم وحرياتهم كما يدافعون

عن حقوق أنفسهم ومصالحهم وحرياتهم, فإنّ ذلك يعودُ بالخير العميم على الاطراف جميعاً, إذْ أنّ الإخلالَ بحقوقِ الآخرين سيكونُ سبباً للإخلال بحقوقهم هم بنحوٍ مباشر أو غير مباشر .

ومن هنا فلابُدّ ان يتحمّل الجميع مسؤولية الحفاظ على مصالح الجميع كي تتمكّنَ السفينةُ من وصولها الى شاطيء الأمان ويقومَ العراقُ من تحتِ أنقاض هذا الخراب والاّ :

**لا يكملُ البنيانُ يوماً تمامُهُ**

**إذا كنتَ تبنيهِ وغيرُك يهدِم**

## ( 3 )

الجهات الفاعلة في الوسط الشيعي العراقـــي والتي يمكنها لو تظافرت جهودُهـــا ضـــمن برنامجٍ عمليٍّ مـــدروس ان تنـــهضَ بهـــذا المشروع الحياتي المفترض :

**أولاً** – المؤسّسة الدينية .

**ثانياً** – الكيانات السياسية .

**ثالثـــاً** – الزعمـــاء الشـــعبيون والوجهـــاء المجتمعيون .

**رابعاً** – الخبراء والأكاديميون .

**خامساً** – المثقّفون وأصحابُ المواهب .

**سادساً** – أصحاب الاموال .

فكلٌّ جهةٍ من هذه الجهات المذكورة تملــكُ قدراً من الإمكانات الماديــة والإمكانــات المعنوية فضلاً عــن الطاقــات والكفــاءات البشرية وكُلٌّ بحسبه وفي مجالِ تخصّصهِ .

فلو اجتمعت هذه الطاقات والكفاءات مــع تلكم الإمكانات المادية والمعنوية المتوفّرة وفي ظل مُخطّط علميٍّ واضحٍ يشخّصُ الأهداف الأولية والثانوية بدقة ويحدّدُ آلياتِ الوصول إليها بنحوٍ مُجَدْوَلٍ ومحسوب بعد دراســةٍ

مستفيضةٍ لحاجاتِ ونواقص ومشاكل ونقاط ضعف الكيان الشيعي في العراق بشكلٍ عام لاستطاعت ان تصنعَ الأعاجيب .

( **4** )

أهمُّ الاتجاهات الرئيسة لمسارات حركة هذا المشروع المفترض :

1 - النهوض بالوضع الاقتصادي لشيعة أهل البيت عليهم السلام سواء عن طريق مشاريع أهلية[1] أو عن طريق مشاريع مشتركة أهلية حكومية .

---

(1) المراد من المشاريع الأهلية ليست مشاريع القطاع الخاص والتي يملكها عادةً فرد أو مجموعة أفراد, وانما المراد شركات مساهمة يشارك فيها جميع أو أغلب أبناء الأمة أو على الأقل جموع غفيرة منهم كلٌّ بحسب مقدرته .

2 – العمل مع الحكومة وبشكلٍ واسـع في مشاريع الإعمار وفي مشـاريع الاسـتثمار بالنحو الذي لا يعود بالفائدة علـى عـددٍ محدودٍ من أصحاب الشركات الخاصة فقط, وبالتالي لا يتحقّق المطلوب من الوصول الى عميم الفائدة المرجوّة لكل أبناء الأمة وانمـا يكون ذلك من خلال مؤسسـة اقتصـادية كبيرة يساهم فيها الجميع, ستأتي الاشـارة إليها في الفقرة القادمة .

3 – تقوية الكيان الشيعي من خلال وحدة الموقف السياسي الجماهيري, ومن خـلال

الدور الفاعل الذي يتناسب وحجمهم وكثافتهم السكّانية في مراكز القرار في الدولة العراقية .

4 - وضع برامج عملية بحدود الممكن للتنمية البشرية للأفراد وخصوصاً طبقة الأطفال والشباب .

5 - ترسيخ الفكر الشيعي والعقائد الشيعية الأصيلة وشدُّ قلوب أبناء التشيّع الى دينهم ومعتقداتهم . وكلُّ ما تقدّمَ ذكره انما توظّف ثماره ونتائجه في خدمة هذا الأمر والا فلا فائدة حقيقية تُرجى من هذا المشروع أصلاً .

**( 5 )**

ما تقدَّمَ ذكرُهُ في الفقرة السابقة لا يمكنُ ان يتحقّقَ عملياً على أرض الواقع المُعاش الاّ عن طريق مؤسساتٍ ذات حِرفَية ومهنية عاليتين يُشرفُ عليها مدراءُ هاجسهُم الوحيدُ الحرصُ والنجاح, ولا يمكنني أنْ أحصر عناوين هذه المؤسسات على الورق اذا كنتُ جادّاً فيمـــا أقول, لأنّ ذلك يحتاج الى عملٍ حقيقيٍّ على الأرض ومَسْـــحٍ دقيـــقٍ لكـــلِّ المتطلّبـــات والمعطيات المتعلّقةِ بهذا المشروع المفترض لو

أردنا تحقيقه والعملَ وفقاً لمضمونه . الاّ أنني أشُير بنحوٍ إجمالي الى أهمِّ عنـــاوين تلكـــم المؤسسات الأهلية التي يتوقّفُ نجـــاحُ هـــذا المشروع على وجودها وعملها ونشاطها :

**أ** - مؤسسة كـــبيرة أو مجموعـــة مراكـــز للدراسات الستراتيجية التي تحـــاول دراســـة اوضاع شيعة العراق وتقيــــيم مســـيرهم التأريخية في أبعادها السياسية والاجتماعيـــة والعقائدية على الأقل في القرن الماضي مثلاً، للإعتبار من الأخطاء والهفوات, وللإستفادة من التجارب الناجحة في وضع مخططـــات

وبرامج تقوية الوجود الشيعي في العــراق إنْ كان ذلك في الحاضرِ أو في المستقبل .

**ب** – مؤسسة إعلامية شاملة تعملُ بأحدث التقنيات وبعيدةٌ كل البعد عن التجاذبــات السياسية هدفها الاسمى توعية المجتمع الشيعي ونشرُ فكر أهل البيت عليهم السلام علــى أوسع المستويات وبكُلّ الوســائل المتاحــة المقروءة والمسموعة والمرئية بكلِّ أشــكالها, ولابُدّ من التأكيد على أهــمِّ وســيلتين في عصرنا الحاضر :

التلفاز والسينما اللذان لهما من التأثير علــى

المجتمع البشري بنحـــوٍ يتجـــاوز الســـحر وعمليات غسل الأدمغة بكثيرٍ جداً .

**ج** – مؤسسة واسعة أو مجموعة مراكـــز أو معاهد للبحث عن المواهب وتنميتها وصقلها ورعاية أصحابها بتوفير الظروف الملائمة لهم ولقُدراتـــهم في مختلف حقول العلم والأدب والفنون والرياضة والحِرَف والصنائع .

**د** – مصرف أهلي كبير مُساهم أو مجموعـــة مصارف أهلية مُساهِمة تشرف على مؤسسة اقتصادية تتألّف من مجموعة شركات كـــبيرة مساهمة يُساهمُ فيها كلٌّ شـــيعة العـــراق أو

أغلبهم أو على الأقل أعداد كثيرة منهم تعود أرباحها للمساهمين وللإنفاق على المؤسسات الأهلية المتقدّمة الذكر وما تحتاجه في برامجها وأعمالها وانجازاتها .

وملاحظةٌ هنا في غاية الأهمية : أن تكـــون مفاصلُ القرار والتخطيط والتنفيذ الفـــني في كلّ هذه المؤسسات بيد أصحاب التخصّص كي يتمكنوا من إنجاز أعمالهم بمهنيةٍ وحرفيةٍ تحقّقان أفضلَ ما يمكنُ الوصول إليـــه مـــن النتائج .

## ( 6 )

قد يرى البعض أن الفقرتين الرابعة والخامسة قد أغمضتا عن كثيرٍ من الأولويات في حياة أبناء العراق اليومية من شماله الى جنوبه .

أقول : نعم فإنّ هذا المشروع المفترض ليسَ بديلاً عن الدولة ولا مُنافساً لهـا ولا قائمـاً مقامها في مجالات ما يُفترضُ علـى الدولـة وأجهزتها القيـام به . إذْ أنّ المقصدَ الكلـيَّ لهذا المشروع هو حماية الأمة الشيعية وتحصين كيانها من أن يُفتك بها كما حصل في السابق

من قتل أبنائها وسلب أموالها وتشريد الاعداد الكثيرة منهم ومحاربتهم في لقمـــة عيشـــهم وإخضاعهم لإرهابٍ وإرعابٍ مستمرين، الى غير ذلك من أساليب القمع والتنكيل والظلم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من شـــؤون حيـــاتهم بنحوٍ لا يستطيعُ تصوّره أحد الاّ من اكتوى بنار الظلم والجور هذه، لكنّ هذا لا يعني أن تُهمل هذه الأولويات اذ هي داخلة في سياق مشاريع الإعمار والاستثمار التي تقدّم ذكرها في الفقرة الرابعة .

وأشيرُ هنا بنحوٍ مجمـــلٍ الى أهـــمّ تلكـــم

الأولويات أجعلها في خمس مثلّثات, وذلــك لوجود روابط ووشائج بنحوٍ ما بين اضلاع كل مثلث :

المثلث الأول : خدمات الكهرباء / المــاء / الوقود .

المثلث الثاني : خدمات البيئــة / الصــحّة / التعليم .

المثلث الثالث : الثروة المائيــة / الزراعيــة / الحيوانية .

المثلث الرابع : النقــل الــبري / الجــوّي / البحري .

المثلث الخامس : تحديث وتطــوير النظـــام الاداري / المصرفي / مراكز البحث العلمـــي المختبري والتكنولوجي .

ولا اتحدّثُ هنا عن تطوير اســـتثمار الـــنفط والثروات المعدنية بالاضافة الى ضرورة تطوير وتوسعة الصـــناعات النفطيـــة والمعدنيـــة, فإنـــهما خبزُ العراق وماؤه ومن دونهما لن تتحرك عجلة الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد الرافدين بالشكل المطلوب .

## ( 7 )

ما مرَّ من حديثٍ في الفقراتِ المتقدّمة كـــان عرضاً إجمالياً مختصـــراً للخطـــوط العامـــة واتّجاهات المسارات في هذا المشروع الذي نحن بصددِ الحديث عنه . ولكن بقي الجـــزءُ الأهمُّ وهو الحديث عن روح هذا المشـــروع وبعبارةٍ أخرى المحرّكُ الأساسُ الذي يبعـــثُ الطاقة والحياة في مفاصل هذا المشروع كـــي تتحرّكَ وتنشطَ أجزاؤهُ وأطرافه . لذا يلزمُني بيانُ هذه الحقيقة :

إنّ أيَّ مشروعٍ مفترضٍ هذا أو غيره إذا أُريد تفعيله فإنّه لن يتحرّكَ ابداً الاّ بوجود مـــادّة حياته الفاعلة وهي بعبارة موجزة :

**[ الإنسان + إمكاناتهُ المادّية والمعنوية ]**

ولو وُجدِت هذه الموادُّ الرئيسةُ الفاعلة فـــإنّ حياةَ المشـــروع واســـتمراريتها ودوامهـــا ونجاحـــه لن يتحقّق منها شيءٌ إلاّ في ظـــل شرطين لا يمكنُ إغفالهُما ابداً من وجهةِ نظرٍ فلسفيةٍ أو من جهةٍ عملية وفعلية هما :

**أولاً** – انتفاء الموانع من طريـــق المشـــروع المفترض .

**ثانياً** – توفّرُ الدوافع النفسية القوية الباعثــة على الحركة والنشاط والعمل الجادّ المتواصل عند الإنسان لتحقيق هذا المشروع .

أمّا بالنسبة للموانع في مشــروعٍ كالــذي نعرضه في هذه الصفحات القليلة قد تكــون ماديةً بحتةً أو فنيةً وخُبْرَويةً أو ربما سياســيةً واجتماعية أو قد تكون مجتمعةً كلها . فأمّــا الاولى والثانية فذلك شأنُ أبنــاءِ الأمــة إذْ يُفترضُ بهم أن يكونوا على أُهبةِ الاســتعدادِ لبذلِ قُصارى جهودهم في تخطّي هذه الموانع وتجاوزها ورفعها من الطريق . واما الثالثــةُ

فذلك شأنُ عيونُ الأمة ورجالاتُها وما هُـــم عليه من دراية وحكمةٍ ومرونـــةٍ وحـــزمٍ في العمل يزينُ كلٌّ ذلـــك الرفـــقُ الـــواعي لا السذاجة والاهمال والتكاسل والتمني؛ فـــإنّ الرفقَ ما كان في شيءٍ الاّ زانه، كما قـــال خاتمُ الأنبياء صلى الله عليه وآله . هذا مـــا يتعلّقُ بالموانع وأمّا الدوافع النفســـية ســـواءٌ كانت للفرد أو للأمة فإنّ مردَّهـــا للحالـــة النفسية العامة والتي يُعبَّر عنها في أحاديـــث المعصومين عليهم السلام بالنية, وهي ليست النية الجزئية بالمصطلح الفقهي المتعلقة بعمـــلٍ

جزئي أو منفردٍ كنيـــّة أداء فرضٍ من فروض الصلاة مثلاً, وانما هي النية المرتكزة في كيان الشخصية فرداً كان أو أمة والتي عُبّر عنها في الأحاديث المعصومية الشريفة بأنها الســـرُّ في خلود أهل الجنان في جنانهم وأهل النيران في نيرانهم[1] .

---

(1) في الكافي الشريف عن الامام الصادق عليه السلام : ( انما خُلِّـــدَ أهـــل النار في النار لأنّ نيّاتـــهم كانت في الدنيا أن لو خُلّدوا فيها ان يعصوا الله ابداً, وانّما خُلّد أهلُ الجنـــة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها ان يُطيعوا الله ابداً, فبالنيات خُلّد هؤلاء وهؤلاء, ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **قُلْ كلٌّ يعمل على شاكلته** ﴾ قال: على نيته ) . الكـــافي: ج2 ص69 ح5 والبحار: ج67 ص201 ح5 .

هذه الحالة النفسيةُ العامة هي التي تُمثِّلُ القاعدة أو الأساس الذي تتفرّعُ منه وتنشأُ منه الدوافع النفسية . وهنا تختلف الحالة الفردية عن حالة الأمة حين الدخول في تفصيلات تكوين الحالة النفسية العامة, وذلك ان عوامل الضغط النفسي مختلفة بنوعيها السالبة والموجبة بالنسبة للأفراد أو بالنسبة للأمة، وما يهمُّنا هنا هو الحديث عن الحالة النفسية العامة للأُمة .

بنحوٍ عام تنشأُ الحالةُ النفسيةُ العامة لكلّ أمة من الأمم من تفاعلها مع الضرورات الثلاث

المحدقة بجميع أجزاء حياتها وهي :

1- الزمن .

2- الأرض .

3- المُعتَقَد .

وتتباينُ الأمم في التفاعل مع هذه الضرورات الثلاث عبر مسيرة حياتها وتأريخها؛ والسرُّ في ذلك هو اختلاف خصوصيات هذه الضرورات الثلاث من أمة لأخرى هذا أولاً, وثانياً اختلاف مدى الترابط بين هذه الضرورات الثلاث أنفسها قوة وضعفاً ما بين أمة وأمة .

هذا كُلُّه في البعد المفاهيمي العـــام لنظريـــة المسألة المطروحة بين أيدينا . بقي علينـــا ان نتحدّث عن المصداق المقصود هنا وهُمْ شيعة العراق اليوم ومدى تفاعلهم النفسي مع هذه الضرورات الثلاث :

الزمنُ , الأرضُ , المعتقدُ .

وقبل الحديثِ عن هذه العناوينِ الثلاثةِ لابُـــدَّ من ذكر أمرين في غاية الأهمية تمهيداً للتوغُّلِ في الحديث عن هذه الضـــرورات الـــثلاث, وهُما :

**أوّلاً** – إنّ ما يُصطَلَحُ عليه بعالم اللاشعور أو

طبقة اللاشعور في النفس الإنسانية سواءٌ في الفرد أو في الأمة له الحظُّ الأوفر والنصيب الأكبر في تكوين مواقف الإنسان وردود أفعاله وطبيعة تصرّفاته المختلفة إذا ما قِيس بعالم الشعور ومدى تأثيره في ما يصدر عن الإنسان ، بل لو تعمّقنا في حقيقة الأمر لوجدنا أن الشعور في حقيقته هو انعكاس اللاشعور على سطح النفس الإنسانية أو ظاهرها بعبارة مُقاربة ؛ إذْ أنّ اللاشعور في حقيقته هو خُزانةُ كلِّ ما تنفعلُ به النفسُ البشرية منذ مرحلة الأجنّة وحيثُ الإنسانُ

في رحمِ أُمّه. وكلّما إزداد انفعـــالُ الـــنفس البشرية بسبب قوة شيءٍ ما أثّرَ فيها كلّمـــا قَوِيَ واشتدَّ انطباع ذلك الأثـــر في خزانـــة اللاشعور . ويترتّبُ على ذلك تأثيرُ ذلـــك الانطباع على عالم شعور الإنسان وما يصدر منه, فكلّما كان ذلك الانطباعُ اللاشعوريُّ قوياً كلّما كان تأثيره أقوى وأقوى في أفعال الإنسان وردود أفعاله .

**ثانياً** – إن الترابط الشديد والتلازم الوثيق بل عدم الإنفكاك بين هذه الضرورات الثلاث : الزمنُ والأرضُ والمعتقد بالنسبة لشيعة العراق

امرٌ واضحٌ يتجلّى بيّناً عند أول نظرة فاحصة على معطيات هذا الموضوع وتفصيلاته . بل يُمكن القول أن لا شبيهَ لمثل هـــذا التـــرابط والتفاعل بين تلكم الضرورات الـــثلاث في مكان آخر أو أمةٍ أخرى .

## الزمــــن

حين نتحدّثُ عن الزمن فهو الزمن الأرضي
اذْ لكل جُرمٍ سماويٍّ زمانه وأيامه وسنواته .
فزماننا هو زمان كوكبنا الأرضي وهـــو في
مضمونه الفيزيـــائي دوران الأرض حـــول
نفسها وحـــول الشـــمس, وفي مضـــمونه
الإنساني تفاعل وجدان بني البشر وإحساسهم
بعمق ما يواجهونه من أحداث وحـــوادث
الحياة أثناء هذا الدوران الأرضي . ومن هنا
فإنّ أياماً يقضيها الإنسان مع حبيبٍ طـــال

بِعادُه وزاد الشوقُ إليه لهي أقصرُ بكثيرٍ مـــن
دقائقَ قليلة تتصرّم في لقاءٍ مع شخصٍ ثقيـــلٍ
بغيض, فالمقياسُ هنا لـــيس آلاتِ التوقيـــت
وضبط الزمان بل هو الوجدانُ وانطباعاتُـــه
عمّا يواجهه من الأحداث والحوادث .
فحيثما كانت الأحداثُ مُؤنِسةً مُفرحةً جميلةً
كان الزمان جميلاً قصيراً خفيفـــاً, وحيثمـــا
كانت الحوادثُ مؤلمةً مُقرِحةً حزينةً كـــان
الزمان حزيناً طويلاً ثقيلاً . وحين يشتدُّ تأثيرُ
الأحداث والحوادث على الإنســـان يكـــاد
الزمنُ الإنسانيُّ أن يذوب فيهما وهما يذوبان

فيه؛ فيُصبِحُ الزمن هو الحدث والحدث هـــو الزمن .

وتلك هي قصةُ الإنسان مع الزمن !!

وما قِصةُ شيعة العراق مع الزمن ببعيد عـــن ذلك, فلقد اكتوى شـــيعة العـــراق بـــآلام مظلومية أهـــل البيـــت علـــيهم الســـلام واستشعروها أكثر مما جرى على أنفســـهم وذواهم من ظلمٍ وجورٍ شديدين, بل اندكّت مظلوميتهم بتمامها وذابت في مظلومية أهل البيت عليهم الســـلام . وزاد علـــى ذلـــك استشعارهم اندكاك الزمان وذوبانه في طيّات

هذه الحوادث المفجعة المُريعة .

ولذا عاشوراء مثلاً ليست زماناً في الوجدان الشيعي العراقي انها حدثٌ تذوبُ فيه كــلُّ الأزمنة وتندكُّ فيه كُلُّ الأوقات, بل تكــاد كلُّ الأحداثِ ان تذوب في هذا الحدث، ولو تفحّصنا في اللاشعور العراقي لوجدنا ذلــك جلياً حتى في أمور من المفترض انها أبعدُ مــا تكون عن التأثر بمثل هذه المعاني .

خذ إليك الغناء العراقي وشعر الغزل العراقي مثلاً في الوسط الشيعي وغير الشيعي فإنــك ستجدُ أنّ الشجنَ والحزنَ ولذعةَ الألم وأنيناً

يخرج من عمق الاحساس متدفّقاً من كـــل
معانيهما وليس لذاك من تفسيرٍ منطقيٍّ الا ما
مرَّ قبل قليل .
ومن هنا فإنّ الزمن في الوجـــدان الشـــيعي
العراقي أصبح مندكّــاً في أحداث وحوادث
اعتقادية إن كان في ماضيه أو حاضره بـــل
حتى في مستقبله . ومِفصَلُ المفاصلِ جميعـــاً
عاشوراء, وما نراهُ اليوم من زحف الملايـــين
من شيعة العراق من كل حـــدبٍ وصـــوب
لزيارة كربلاء رغم كل المعوّقـــات الماديـــة
والمعنوية بظاهرةٍ طارئة أو مسألةٍ آنية, إنهـــا

استجابةُ الوجدان لانطباعات اللاشعور حيث تندكُّ المعاني العقائديةُ في الحـــدث وينـــدكُّ الزمانُ في الحدث أيضاً, وتبقـــى عاشـــوراءُ كسيّدها مصباحَ هُـــدىً تختصـــرُ الأزمنـــة وتطوي الأحداث والحوادثَ طيـــّاً يجعلُهـــا كبؤرة تتركّزُ فيها كلُّ المعطيـــات وتنتـــهي عندها كُلُّ المسارات فمن أطرافهـــا بـــدايتُنا وعند مشارفِها نهايتُنا .

# الأرض

أرضُ العراق كانت مهبطَ أبينـــا آدم عليـــه السلام, ومسكنَ نوح عليه السلام وطوفانه, وموطنَ إبراهيم عليه السلام, ومهدَ توحيده . وفوق صعيدها مرّت مواكـــبُ أنبيـــاء الله وقوافلُ أوليائه .

هكذا حدّثنا المعصـــومون علـــيهم الســـلام وأخبرونا أنّ لهذه الأرض شـــأناً في بدايـــة الاستخلاف البشري وأنّ لها شأناً عظيماً عند النهاية السعيدة لهذا العـــالم, وأنهـــا تمتـــازُ

بخصائص تحملُ في مضامينها رمـــوزاً لمعـــالم المخطط الالهي الكبير لهذا الإنسان المُستخلَف على الأرض .

ارضُ العراقِ هي الأرض التي امتزجت ذرّاتُها بالدم العاشورائي المقدّس . وكان الصـــعيدُ الكربلائيُّ المذبـــحَ الذي قُدِّم عليه القُربـــانُ الذي لا مثيل لآلامهِ ومأساتهِ, حيثُ اندكّت الحقائقُ في بعضها وذاب الزمان ســـريعاً في عمق الحدث وتماهى المكان بينهما وتلاشت أجمعُـــها عند حقيقةٍ مُفـــردةٍ شاخصة اسمُها ( **الحسين** ) في فِنائها ينطوي الـــزمانُ سِراعاً

ما بين ماضٍ وحاضرٍ وآتٍ, ويختفي المكـــانُ بعيداً بعيداً تحت ظلال هذه الحقيقةِ الشاخصةِ التي تمدُّ خيوطَ اشعّتها وجـــدائلَ ضــــيائها وأمواجَها النوريةَ المتلاطمة في عمق وجدان هذه الأمـــة التي حملـــت في شـــعورها ولا شعورها ألم عاشوراءِ بقدرِ ما يؤذيها ويؤرِّقُها تحبُّه وتحنو عليه وتسهرُ عليه مخافةَ ان يذويَ ولن يذويَ أبداً؛ لأِنّ الشاخص الذي وهب لعليّينَ علوَّها لا نهاية لعلوّه قد خـــتمَ هـــذه النفوس بألمِهِ وحبِّه ودمه, والثلاثةُ هذه عصيّةٌ على الذوبان فشاخصها الأقدسُ لن يـــذوب

ومُحالٌ ان يذوب, فلو ذابَ ذابَ كُلُّ شيءٍ
معه ومُحالٌ ان يكون ذاك؛ فحكمةُ الوجود
والإيجاد حكمةُ البقاء .

وبهذه العُجالة ترتسمُ صورةٌ موجزةٌ عن عُمقِ
الغورِ الذي تركه الزمنُ المُثقَلُ بالآلامِ المُتَقَلِّبةِ
فوق أرض الأحزان والمأساةِ في باطن التكوين
النفسي المعنوي لهذه الأمة التي نتحدّثُ عنها،
والتي علّمتها حكمةُ الحقيقة وحكمةُ الحيـــاة
أنّ الزمنَ الجميلَ آت وقريبٌ بقُربِ الحـــبِّ
والأملِ والتفاؤل لا بقُربِ الساعاتِ والأيامِ
إذ ذاك في علمِ اللهِ تعالى وما بعيدٌ ما هو آت!

# الـــمُعتَـــقَد

حين أتحدّثُ عن المعتقدِ في هـــذه الســـطور فليس مرادي منه البعدُ الفلسفي الذي يـــبتني على قواعد عقلية واصول نظريـــة وإعمـــالٍ للفكر للوصول الى النتائج السليمة والأفكار القويمة . إنّما أقصدُ منه البعدَ الوجدانيَ الذي له عظيم الأثر في دفع الإنسان وتحريكـــه في اتجاهاته العملية الحياتية وما يصـــاحبُها مـــن مواقفَ وعلاقاتٍ بالآخرين وبمختلف الأشياء من حولنا . ولقد مرَّ بعضُ الحـــديثِ عـــن

الزمنِ وعن الأرض وتأثيرهما علـــى البُنيـــةِ النفسية للمجتمع الشيعي العراقي بما يحملان من خصوصياتٍ ترسّخت فيهما بسبب عمق أحداثهما وحوادثهما، ولكنّ الصـــورةَ لـــن تكتملَ من دون الاشارة الى المُعتقَدِ الـــذي يُغَذّي تلكم المعاني ويُشـــدِّدُها في القلـــوبِ والأفئدة، وهذا ما دَأبـــتْ عليـــه كلمـــاتُ المعصومين عليهم السلام المتوافرةُ والمتواسقةُ على طول الخط الزمني الذي تكلّمـــوا فيـــه وأرسَوا دعائم الهُدى التي استجابت لها نفوسُ مُحبي أهل البيت عليهم السلام، فكانَ المزيجَ

الأمثلَ ما بين حُزنٍ عاشـــورائيٍّ كربلائـــيٍّ حسينيٍّ تَهيمُ به الأرواحُ والُمهَجُ، وما بين أملٍ بقائمٍ حين يقومُ تقومُ معه الحقـــائق كُلُّهـــا ويكون انبعاثهُ من لُبابِ الحقيقـــة الحســـينية الشاخصة ليتجلّى المشهدُ الإنسانيُّ على أروع ما يكون ما بين حزنٍ يأخذُ بمجامع النفوس الى بؤرةٍ واحدةٍ تتكثّفُ فيها طاقاتُ العقول والقلوب، وبين ساحةٍ للأملِ والتفاؤلِ تتفتّحُ أبوابُها بيومٍ أسْمَوْهُ :

**( يوم الخلاص )**

تَحُطُّ فيه البشريةُ رحالها بعـــد نـــأيٍ ولأيٍ

وتَعَبٍ ورَهَقٍ ولَغْبٍ ونَصَب لتكتملَ صورةُ المُعتقَد الشيعي من فواتحه الى خواتمه يشـــعُّ بالوضوح وعناصرِ القوةِ والثباتِ كي يُلـــهِمَ الأمةَ ما يحفظُ كيانها ويُقيمُ أوَدَهـــا رغـــم عادياتِ العصور ونوازل الحادثات، ويَمُـــدَّ إليها مَدَدَ العزمِ والحزمِ لتتولّدَ من كلِّ ذلـــك الدوافعُ النفسيةُ القويةُ الباعثةُ علـــى العمـــل والنشاط والسعي المُثابرِ لتحقيق الاهـــداف والمقاصد، فليسَ خفياً أنّ قوة الدوافع هـــذه مردُّها الى قوة المعتقدات، فكلّما قويَ المعتقدُ في النفوس كلما زاد اندفاعُها وعَلَتْ همّتُهـــا

وتدفّقَ إبداعُها وهانَ عليها كُلُّ عناءٍ وجُهْدٍ وجَهْدٍ كؤود .

إنّ عقيدةً ثابتةَ الأركان تكونُ أملاً صـــادقاً لأُمة تعيشُ انتظارَ الفوز والفلاح في عميـــق وجدانها لهيَ كنـــزٌ عظيمٌ يحملُ بين طيّاتِـــه كلَّ أسرارِ النجاحِ وأسبابِ التطور ودوافـــع العملِ والحياة، وذلك هو المعـــنى الحقيقـــي لانتظار الفرج الذي قال عنه سيد الكائنات صلّى الله عليه وآله :

**( أفضلُ عبادة أمتي انتظارُ الفرج )**

إنه الصبرُ الواعي والاملُ الحـــقُّ والتفـــاؤلُ

الصادقُ كلٌّ ذلك مصحوبٌ باليَقَظَةِ والفهم والتخطيط والحكمة والعمل الجادِّ المتواصلِ؛ لتُحافظَ الأمةُ على بنيتها الاجتماعية وكيانها العقائدي الفكري بتوطين النفوس على الحقِّ والتضحية في سبيله ولا يتحقّق ذلك من دون مشروع متكاملٍ ينـــهض باعبائـــه الجميـــعُ يُحصِّن مصالح الأمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويذهبُ بها الى برِّ أمانها؛ فتجمعُ لأبنائها ما يرفع شأنهم في دينهم ودنياهم .

## أواخرُ السطور

ما تمَّ ذكرُهُ في هذه الصفحات القلائل كان على شطرين :

الاول منهما كان عرضاً مجملاً موجزاً لمشروع مفترضٍ يراد منه تحصين البنية الاجتماعية والعقائدية لشيعة العراق والحفاظُ على كيانهم الاقتصادي والسياسي تجنُّباً للكوارث التي انهكتهم ان تعودَ ثانيةً .

والثاني منهما كان بياناً سريعاً مقتضباً لمنشأ الحالة النفسية والعمق الوجداني والفهم

العقائدي الذي يُمازجُ قلوب ونفوس شـــيعة العراق . أملاً في ان يتنفّسَ شــيعةُ العــراق الصُعداءَ وهم يسعونَ الى نظـــم أمـــورهم والحفاظ على مصالحهم وبناء بلدهم مع كلِّ مكوِّنات العراق السكانية من أبناء وطنـــهم للنهوض بهذا البلد الذي قطّعتـــه الفتـــــنُ أوصالاً ولبناء دولة قوية على أساسٍ متين من المساواة بين الجميع في حقوقهم وواجبـــاتهم، وما ذلك على الله تعالى بكثير إن صـــحّت النوايا وطابت النفوس .

**الخاتـــمة :**

إنّها مجردُ أُمنية فحسب .....! تلك الكلماتُ التي حبرتُها وكتبتُها . أُمنيـــةٌ تُـــراوِدُ الفكر لا أحسبُني أراها ولا حتى أحفـــادي؛ فَـــإنّ تفشّيَ الجهل المركب[1] في عديدٍ من افـــراد الجهات التي يُفترضُ بها القيام بهذا المشـــروع وأمثالـــه، وكـــذاك انتشـــارَ المحســـوبيات والمنسوبيات, وشيوعَ الأمية ولا أعني بها أميةَ القراءةِ والكتابة وانما أمية ثقافة العصر وأمية

---

(1) هو ان يجهل الانسان ويجهل أنه يجهل، وتلـــك طامتُنـــا الكبرى التي يكاد ان يستحيل علاجها .

التخطيط الواعي وأمية الكفـــاءة والخـــبرة والاهمُّ من كل ذلـــك انعـــدامُ الحمـــاس العقائدي الشيعيّ الأصيل الواعي الذي يجعلُ من همِّ آل محمّد صـــلوات الله علـــيهم زاداً نستطعمه في كل حين، ونَفَساً نَستنشـــقُهُ في كلِّ آن فنحيى به، وهمّاً ساخناً حيّـــاً ننـــامُ ونستيقظُ عليه . كلّ ذلك يُشـــكِّلُ عوائـــق كونكريتية ضخمة تحولُ دون الوصـــول الى الأهداف المأمولة . ولكنّ المؤمنين يعيشـــون بصبرٍ وأمل لعلّ الله تعالى يُحدِثُ أمراً . صبرٌ هو من الإيمان بمنـــزلة الرأس من الجسد كما

قال صلّى الله عليه وآله، وأملٌ فيه عزاؤنا اذ يقولُ سيد الأوصياء عليه أفضـــل الصـــلاة والسلام : ( **لولا الأملُ لَبُطلَ العمل** ) .

وأختمُ مقالي هذا وأنا أُنشِـــدُ مـــا أنشـــدَهُ الطُغرائي في لاميّته المشهورة المعروفة بلاميّـــة العجم :

أُعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبُها

ما أضيقَ العيش لولا فُسحةُ الأملِ

**الغِـــزّي**

1429 هـ